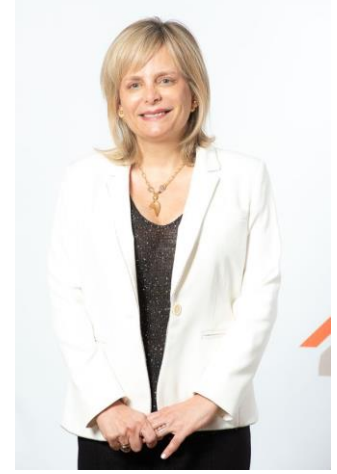


## تحرير الذات هو "المهنة التي أريد أن أعلمها"

عندما كتب Rousseau في كتابه Emile أن "الحياة هي المهنة التي أريد أن أعلمها"، هل كان يعلم بأن "العيش" وحده لن يكون كافيًا في يوم من الأيام؟ في عالم مفكك غير مترابط تسوده في كثير من الأحيان معايير غير ثابتة، هل يمكننا أن نطمح بـ "العيش" فقط؟ وفي مواجهة التغيرات المجتمعية، الناتجة عن الصراعات الاجتماعية والسياسية، وإلى جانب الاختلالات المناخية التي تؤدي إلى موجات من الهجرة القاسية ومستوى غير مسبوق من الفقر، هل يمكن أن يظل "النموذج المدرسي" الحالي (Vincent, 1980) كما هو؟



إن عدم اليقين الذي نعيشه يبدو "أساسيًا" (Asensio, 2017)، لأن "الواقع متغير" وأن أمرًا جديدًا يمكن أن يطرأ وسيظهر بأي حال" (Morin, 2005, p. 111). فماذا ننتظر من الفاعلين في المؤسسات التربوية؟ وكيف يمكن مساعدة التلاميذ على "تحرير ذاتهم" ليعيشوا بشكل كامل؟

في مواجهة هذا الحراك الاجتماعي، سيكون من الضروري إعداد مواطنين فاعلين، قادرين على أخذ المبادرات واعتماد الاستراتيجيات لتصور سيناريوهات قابلة للتعديل وفقًا لتقلبات الحياة، وتكون في خدمة المجتمع. وهذا يتطلب جعل المواطنين قادرين على تنظيم حياتهم لتحرير أنفسهم وعدم التكيف مع الأمر الواقع، لأن التكيف ضار في بعض البيئات غير السليمة (Le Bossé, 2016). لذلك من المهم تعليمهم القيام بمهامهم، وأن يتعلموا ليعرفوا، ويتعلموا ليعملوا، ويتعلموا ليكونوا وذلك من خلال التفكير والتوقع والفعل ورد الفعل، واكتساب مهارات عالية المستوى كالإبداع والتفكير الناقد والاستقلالية وحس المسؤولية وإظهار المرونة عند كل اختبار. عندئذ سيكونون قادرين على الحفاظ على التوازن في أوضاع غير مستقرة، واتخاذ القرار الحكيم في حالة عدم اليقين، والمضي قدمًا بخطوات واثقة في مواجهة العواصف والمد والجزر، وتطوير الذكاء الاستراتيجي، وتحويل الصعوبات إلى فرص توفرها البيئة المتغيرة على وجه الخصوص.

أعزائي الطلاب

أن نتحرر ذاتيًا يعني قبل كل شيء أن نطور كفاية التعاون التي يصفها De Ketele (2021) بأنها أخلاقيات الشراكة، من أجل تعزيز ديناميكية بناءة وغير تنافسية بين طلابنا. أن نعمل معًا يفترض بنا التخلي عن فرديتنا

ووضعها في خدمة المصلحة العامة، والعمل في خدمة عالم من الثقة والوفاء. "لننهض!"، هذه الدعوة التي أطلقها Edgard Morin في كتابه الأخير (2022) تشجعنا على إعادة الإنسان إلى مركز اهتماماتنا، بغية "إعادة أنسنة" العالم والحفاظ عليه من الخطر الاجتماعي والبيئي الذي ينتظره. في مواجهة ما لا يمكن التنبؤ به ، من المهم أن ندرك بأن التربية على القيم وعلى خدمة الآخرين هي وحدها التي تضمن مستقبلاً واعدًا للإنسانية.